

« حصان يحب غزالة »

لا بد من ربح

ولا بد من حارس

للحيلولة دون الزنفاف .

بعد هذا تنظفت اللغة الشعرية . « محاولة رثاء بركان » هي أفضل نثر يقتصب الشعر ، ويعيد للنثر الشعري بكارته التأسيسية . نحن أمام الانفعال الصافي الذي يخرج متهدداً على جميع القواعد المسبقة . لكنه يقيم ايقاعه الداخلي الامتدادي ، حيث يسمح للتوتر بمدى أوسع من القدرة على التعبير . « ومن انت يا غسان كنفاني حلنك في كيس ، ووضعناك في جنازة بمصاحبة الاثاشيد الرديئة » ، تماماً كما حلننا الوطن في كيس ووضعناه في جنازة لم تنته حتى الآن ، وبمصاحبة الاثاشيد الرديئة » . هذا الامتداد هو الذي يسمح للنبرة التأملية بالتكثف شعراً ، دون ان يستطيع حجب البناء النثري للقطعة الادبية . من هنا يقترب صوت درويش من ذلك النثر الذي كان في اساس الحركة الشعرية الجديدة : نثر جبران وفؤاد سليمان . لكنه لا يدمي في نثره اية حصانة شعرية . التركيب الداخلي للنثر هو الذي يكشف ابعاد البشر . ننتدرج اللحظة الانفعالية من التأمل ، « اكتلت رؤياك ، ولن يكتمل جسدك » الى الحزن السكوني الشفاف ، « ولكني استأذنتك الان في البكاء قليلا » . وبين هذين الحدين نكتشف التحريض من داخل الموقف ، لذلك يستبدل النص التشكيلي بالصور الشعرية المفاجئة ، « ينس الموت منك وانتحر » او « طوبى للجسد الذي يفتأ مدنا » . تتربك الصورة الشعرية من داخل الفعل وليس من الاستعارة العارضة . انتحصر ويتناثر هي الانفعال التي تنجر الصورة . من هنا يستوي الشعر داخل المخاطبة النثرية . يدخل اليها دون ان يشل بنيتها الخاصة . فنحن امام شكل واضح من الكتابة . من هنا يأخذ النثر الشعري الانفعالي خصوصيته دون ان يختلط بالشعر عشوائياً . لكنه يبقى على اطراف لغة القصيدة امتداد حوار لا ينقطع ، حتى تتوصل الكتابة الى الغاء المسافات بين الاشكال ، ليتأسس الشكل الإبداعي انطلاقاً من الحالة نفسها . وعندما يتابع درويش مراتبه ليصل الى كمال ناصر ،

الصوت الفلسطيني

في الذكرى السنوية الثانية لاستشهاد كنفاني ، وبعد مرور أكثر من سنة على استشهاد كمال ناصر ، منح اتحاد الصحفيين العالمي جائزته التقديرية الى كنفاني . كما منح اتحاد كتاب آسيا وأفريقيا احدى جوائز اللوتس مناصفة بين كنفاني وناصر .

في هذه الذكرى ، نقف لنذكر تجربة المجد الدموي ، الذي يكلل اقلامنا . حافة الموت هي الحياة التي تعطي للاعشاب النامية وسط الحصار ، نقاءها وخضرتها .

ياتي الصوت الفلسطيني ، داخل ادبنا العربي ، مليناً بالتوتر وبعد الممارسة . انه ينطلق من ذروة الفجيرة ، داخل العرس الدموي ، ليعطي للكتابة بعداً يتجاوز الالتزام بمعناه التقليدي الى أفق هذا الالتزام . أي الى مشارف جديدة ، تضيء تجربة الطليعة الثقافية ، التي تبحث عن علاقاتها داخل الفعل التاريخي .

هكذا يتميز الصوت الفلسطيني دون ان ينزول . يعرف حدوده بوصفه جزءاً داخل إنتاج ثقافي ، لم يكن يوماً ، في قلقه الداخلي ، سوى فلسطيني الفجيرة — اذا كان للفجيرة صفة — ويتوحد الصوت الفلسطيني داخل التوتر العربي الذي يبحث بالكلمات والممارسة النصالية عن طريق الدماء .

هنا ، يصبح لانتاجنا الثقافي تاريخ حقيقي ، تتحدد ضرورة الدراسة العملية ، لمرحلة أدبية مليئة بالالام والحلم . لا يكفي الوقوف امام ثقافتنا اعجاباً او انتقاداً او ملاحظات . ان مهمتنا هي محاولة استخلاص الدروس ، حتى نتجاوز المزلق الذي يقودنا اليه وضع انحطاطي يحاصرنا . فالثقافة الثورية ، لا تتجاوز السائد ، الاضده . ولا تصل الى هذا الضد خارج دروس تجربتها نفسها . هكذا يتحدد دورنا في مزيد من الايغال في التجربة ، مزيد من البحث عن صوت الكتابة التي تتجاوز . وهذا لن يستكمل خارج تاريخنا ، رغم ثغراته . فدراسة تاريخ البحث عن طليعة الممارسة الثقافية ، هو شرط استمرار البحث نفسه .